

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس (١٢) : الحديث الشريف : يقول العبد : مالي مالي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل و الوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

خيارات القوي في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى :

أيها الأخوة الكرام ؛ لا زلنا في الحديث النبوي الشريف والحديث اليوم أخرجنا الإمام مسلم عن أبي هريرة يقول عليه الصلاة والسلام :



((يَقُولُ الْعَبْدُ : مَالِي ، مَالِي ، وَإِنَّمَا لَهُ
مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ : مَا أَكَلَ فَأَقْنَى ، أَوْ
لَيْسَ فَأَبْلَى ، أَوْ أُعْطِيَ فَأَقْنَى . وَفِي
رِوَايَةٍ : أَوْ تَصَدَّقَ فَأَبْقَى ، وَمَا سِوَى
ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ))

[مسلم عن أبي هريرة]

خيارات الغني والقوي في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى بعضهم قال : كلمة مال ، أو مالي ، أو

الحقيقة الدقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام .

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾

[سورة النجم الآية : ٣]

قال :

((المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجنا مسلم عن أبي هريرة]



لماذا ؟ قال : لأن خيارات القوي في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى ، بإمكان الغني أن يزوج الشباب ، أن يؤسس جمعيات خيرية ، أن يحل مشكلات لا تعد ولا تحصى ، فالغني لأنه غني هو قوي ، والقوة أنواع ثلاثة : قوة بالمال ، وقوة بالعلم ، وقوة المنصب، المال تحل به معضلات المشكلات ، والعلم توجه صحيح وتوجيه

صحيح ، وأما المنصب فصاحب المنصب الرفيع إن كان مؤمناً بجرة قلم يحق حقاً ، ويبطل باطلاً ، ويقر معروفاً ، ويزيل منكراً .

لذلك لأنك في الحياة الدنيا جاء الله بك إلى الدنيا لتعمل صالحاً ، والآية تقول :

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١٣٢]

لقد جاء الله بك إلى الدنيا لتعمل صالحاً ، والمال قوة كبيرة ، ممكن أن تنشئ مستشفيات، جمعيات خيرية ، تطعم الجياح ، تزوج الشباب . في الأثر :

((من مشى بتزويج رجل بامرأة كان له بكل كلمة قالها ، وبكل خطوة خطاها ، عبادة سنة قام

ليلها ، وصام نهارها))

عندنا مشكلات كبيرة في مجتمعنا ، أحدها العنوسة ، في بلاد كثيرة جداً نصف النساء غير متزوجات ، أنا أعدها من أكبر المشكلات ، فأنت بالمال تضعف الشر ، وتقوي الخير ، أنت بالمال تزوج ، أنت بالمال تطعم ، أنت بالمال تؤسس مدرسة شرعية ، أنت بالمال تؤسس جمعية خيرية ، فالمال قوة كبيرة جداً .

العمل الصالح علة وجود الإنسان في الحياة الدنيا :

لذلك لا بد من أن أقول : إذا كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله يجب أن تكون قوياً ، لأن خيارات القوي في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى ، أما إذا كان طريق القوة على حساب مبادئك وقيمك فالضعف وسام شرف لك .

مرة ثانية : إذا كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله يجب أن تكون قوياً ، لأن خيارات القوي في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى ، ولأنك مخلوق في الدنيا من أجل العمل الصالح ، والدليل :

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

دليل آخر للإنسان إذا وافته المنية يقول :

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾

[سورة المؤمنون الآية : ٩٩]

أحد الصالحين - قصة قديمة جداً -
حفر قبراً في بيته - بيته كبير ، وفيه
ساحة كبيرة- وكان يضطجع فيه كل
خميس ، ويتلو قوله تعالى :

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾

فيخاطب نفسه ويقول : قومي لقد
أرجعناك ، تفضل .



أخواننا الكرام ؛ النبي الكريم من توجيهاته الدقيقة قال :

((أكثروا ذكر هادم اللذات ، مفرق الأحباب ، مشئت الجماعات))

[رواه الديلمي عن أنس]

((عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به))

[أخرجه الشيرازي والبيهقي، عن سهل بن سعد البيهقي عن جابر]

أي الملخص :

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))

لأن خيارات القوي في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى ، والقوة قوة علم ، أو قوة مال ، أو قوة منصب .

العناية بالشباب و توفير حاجاتهم واجب ديني و قومي و وطني :

الآن فكرة ثانية :

((اغتتم خمساً قبل خمس ؛ شبابك قبل هرمك))

[أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عباس]



شباب في مقتبل العمر ، تقو على طاعة
الله ، تقو على العمل الصالح ، عندك
طموحات كبيرة .

أخواننا الكرام ، الطموحات كبيرة جداً ،
لأن الإنسان خلق لمعرفة الله ، الذات

الحديث الشريف : يقول العبد : مالي ما

الإلهية لا نهائية ، لذلك أعطى الله الإنسان نفساً لا نهائية ، من أجل ماذا ؟ من أجل أن تتعرف إلى الله ، أي إنسان اختار هدفاً نهائياً محدوداً كالمال إذا وصل إلى المال وصل إلى السأم والضجر ، أسأل أي إنسان بلغ أهدافه الدنيوية .

ثاني أطول جسر بالعالم في اسطنبول ، الأول بسان فرانسيسكو ، هذا الجسر الذي أنشأه مهندس ياباني ، أثناء افتتاحه مع رئيس الجمهورية وقص الشريط الحريري ، هذا المهندس ألقى بنفسه بالبويسفور ، ونزل ميتاً ، ذهبوا إلى غرفته في الفندق ، كتب ورقة : نقت الحياة فلم أجد لها طعماً ، فأردت أن أدوق طعم الموت .

والله الذي لا إله إلا هو موظف صغير في مقتبل العمر ، بيته صغير ، ودخله قليل ، لأن معه رسالة ، رسالة الهدى هو أسعد إنسان ، هناك شيء عجيب ، المال بكل ما فيه من متع ، لا يملأ فراغاً في الإنسان ، في النفس فراغ لا يملؤه إلا الإيمان ، المؤمن حينما تعرف إلى الله نفسه مصممة لمعرفة الله ، الجماد للنبات ، والنبات للحيوان ،



والحيوان للإنسان ، والإنسان لمن ؟ أنت الله أي حينما يكون هدفك بعيداً عن الذات الإلهية ، بعد بلوغ هذا الهدف المادي تشعر بالسأم والضجر .

اسمحو لي بتعبير دارج : يصل الإنسان لدرجة يُقرف ويُقرف ، بلغ أهدافه المادية كلها ، الحياة ليس لها معنى عنده ، يأتي إنسان بسيط معه رسالة إذا قدر أن يقنع شاباً يقنعه بالصلاة ، يقنعه بالتوبة ، تجده بعيد ، عنده عيد ، هو بجنة ، فالعمل الصالح يسمو بالإنسان ، فلذلك :

((اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك))

أي الشباب شيء مهم جداً ، وأنا أقول دائماً : هؤلاء الشباب قوة الأمة ، هؤلاء الشباب أمل الأمة ، لكن أهمس في أذان أولي الأمر ، إلى الآباء والأمهات ، هذا الشاب يحتاج إلى فرصة عمل ، ويحتاج إلى مأوى ، ويحتاج إلى زوجة ، فإذا وفرنا لهم هذه الحاجات الأساسية الثلاث الشباب كانوا قوة للأمة ، وأمثلاً لمستقبلها ، فلعل الله سبحانه وتعالى يعيد لهذه الأمة تاريخها المجيد ، لقد جعلها أمة وسطاً عن طريق الشباب ، فالعناية بالشباب واجب ديني ، واجب أخلاقي ، واجب وطني ، واجب قومي .

العاقل من ينفق وقته استثماراً لا استهلاكاً :

((اغتنم خمساً قبل خمس ؛ شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك))



هناك صحة ، ومرض ، وشباب ، وشيخوخة .

((وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل

شغلك ، وحياتك قبل موتك))

أخواننا الكرام ؛ العاقل الذي ينفق وقته إنفاقاً استثمارياً ، بينما الجاهل ينفق وقته إنفاقاً استهلاكياً نأكل ، ونشرب ، ونسهر ، ونسمر ، ونذهب إلى نزهة ، نجلس نتحدث عن الأخبار ماذا قال

فلان ، ماذا قال فلان ، نتعب ، ننام ، نستيقظ ، أعمال ليس لها معنى إطلاقاً ، لذلك :

((شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس))

[أخرجه الحاكم عن سهل بن سعد أو عبد الله بن عمر]

((إن الله يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفاسفها))

[أخرجه الطبراني عن حسين بن علي]

فلذلك الإنسان زمن وأدق تعريف له : الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، ولأنك زمن لا بد من أن تنفقه إنفاقاً استثمارياً ، أي أن تفعل في الزمن الذي سينقضي عملاً ينفك بعد انقضاء الزمن ، لذلك الإنسان عندما يأتي الأجل ينادى :

((عبدي رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا أنا ، وأنا

الحي الذي لا يموت))

العاقل من يعيش المستقبل :

أخواننا الكرام ؛ هل يستطيع أي واحد منكم أن يستيقظ كل يوم كالليوم السابق؟ مستحيل، في أحد الأيام هناك طارئ بصحته ، يتفاجم بعد ذلك تعلق نعوته ، بالمطار هناك بوابة خروج ، وكل واحد منا له بوابة خروج ، فالإنسان حينما



نكاه الإنسان أن يعيش المستقبل قبل أن يحدث ويستعد له

يعيش المستقبل يكون عاقلاً ، ما العقل ؟ أن تصل إلى الشيء قبل أن تصل إليه .
أي إنسان قرأ بحثاً عن الدخان فتركه فوراً ، وصل للنتائج لكن وصل لها نظرياً ، أما الأحمق فلا
يدع الدخان حتى يصاب بالورم الخبيث ، فالعقل أن تصل إلى الشيء قبل أن تصل إليه .
لذلك أخواننا الكرام ؛ كل بطولتك ، وكل ذكائك ، وكل تفوقك أن تصل إلى الشيء الذي لا بد منه
قبل أن تصل إليه .

أنا ذكرت مرة : كان عندنا أستاذ في الجامعة يعد من كبار علماء النفس ، جاء موضوع الذكاء ،
قال : هذا الذكاء موضوع في ثمانين صفحة بالكتاب ، هل تحبون ألخصه كله بكلمة واحدة؟ قلنا له
: تفضل ، قال : الذكاء هو التكيف ، تتكيف ، أنا فهمته تتكيف مع الموت ، الموت ماذا يقتضي
منك ؟ أن تكون مستقيماً ، والاستقامة بيدك ، الموت ماذا يقتضي منك ؟ أن يكون لك عمل صالح
تلقى الله به ، والعمل الصالح متاح بين يديك .

ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها :



الله عز وجل ما حرمك ، أي هذه
الشهوات التي يتوهم بعض الناس أنها
سبب المعاصي ، أقول : ما أودع الله
فينا الشهوات إلا لنرقى بها إلى رب
الأرض والسماوات ، أودع فيك شهوة
المرأة ، تغض بصرك ترقى ، تتزوج
ترقى ، دائماً الشهوات ترقى بها مرتين ،
مرة حينما تمتنع عن شهوة لا ترضي
الله، ومرة حينما يسمح لك بشهوة ترضي

الله ، ترقى بها بعداً، وترقى بها قريباً، فنحن بالشهوات نرتقي إلى الله مرتين ، ولولا الشهوات لما
ارتقى الإنسان إلى رب الأرض والسماوات .

الحقيقة الثانية : ما من شهوة أودعها الله فيك إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها .

أخواننا الكرام ، إذاً ينبغي أن نعمل في الزمن الذي سينقضي عملاً ينفعنا بعد انقضاء الزمن ، أي
هذا الزمن هو أنت ، أنت زمن ، لذلك ينبغي أن تتفقه استثماراً ، لا أن تنفقه استهلاكاً ، من قدم
ماله أمامه سره للحاق به .

العصور ثلاثة ؛ عصر المبادئ و عصر الأشخاص و عصر الأشياء :

أخواننا الكرام ، هناك لقطة لطيفة
أنا أقول دائماً : هناك عصر المبادئ ،
وهناك عصر الأشخاص ، وهناك عصر
الأشياء ، نحن الآن بعصر الأشياء ،
قيمتك - لست أنت طبعاً - أي إنسان
يستمد قيمته من مساحة بيته أحياناً ،
من نوع سيارته ، قيمة المرء بآخر الزمن
متاعه فقط ، لا يوجد بطولات ، مساحة
بينك ، نوع مركبتك ، مستوى دخلك ،



فقيمة المرء متاعه .

فلذلك سيدنا عمر جاء إليه ملك الغساسنة ، جبلة بن الأيهم ، لكن عهد عمر عهد مبادئ ، وبعد
المبادئ عهد الأشخاص ، سيدنا صلاح الدين ، سيدنا فلان ، سيدنا فلان ، ونحن الآن في عصر
الأشياء ، جاء جبلة مسلماً ، وفي أثناء طوافه حول الكعبة ، بدوي داس طرف رداؤه فانخلع رداؤه
عن كتفه ، فهذا الملك ضربه ضربة هشمت أنفه ، فشكاه إلى عمر ، سيدنا عمر استدعاه ، وقف
جبلة ووقف إلى جانبه هذا الأعرابي الفقير



سيدنا عمر سأل هذا الملك : أصبح ما
ادعى هذا الفزاري الجريح ؟ قال : لست
ممن يكتم شيا ، أنا أدبت الفتى أدركت
حقي ببدي ، قال له : أرض الفتى لا بد
من إرضائه ، ما زال ظفرك عالقاً بدمائه
، أو يهشمن الآن أنفك ، وتنال ما فعلته
كفك ، قال : كيف ذاك يا أمير هو سوقة
وأنا عرش وتاج ؟ كيف ترضى أن يخر
النجم أرضاً؟ قال له : نزوات الجاهلية ،

ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جديداً وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيدا ، فقال جبلة :
كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى و أعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني ، قال له : عنق المرتد
بالسيف تحز ، عالماً نبنيه كل صدع فيه يداوى وأعز الناس بالعبد بالصلعوك تساوى.
لأننا حملنا هذه المبادئ وصلت جيوشنا إلى أطراف الصين ، أنا كنت قبل أشهر بأوروبا كنت بمكان

قالوا : هنا بواتيه ، بواتيه وصل إليها جيش المسلمين ، وصلنا إلى أطراف الدنيا ، بهذه المبادئ فلما مالت نفوسنا إلى الدنيا خرجنا من الأندلس .

قالت له أمه - للملك عبد الله الصغير ، آخر ملوك الأندلس - :

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال

أخواننا الكرام ؛ التاريخ بين أيدينا .

عظمة الدين أنه دين فردي و جماعي :

وأنا سأقول آخر كلمة : هذا الدين عظمته أنه دين جماعي ودين فردي ، فإذا طبقت أنت وحدك قطفت كل ثماره الفردية ، وإذا طبقت الأمة تنتصر ، فالبطولة أن يسعى الإنسان كي يقطف ثمار هذا الدين الفردية أولاً ، وإذا دعوت إلى الله ومن حولك قنعوا بدعوتك لعل الله سبحانه وتعالى يعلي قدر هذه الأمة .

والحمد لله رب العالمين